قضايا تربوية ومصطلحية
في مقدمة ابن خلدون

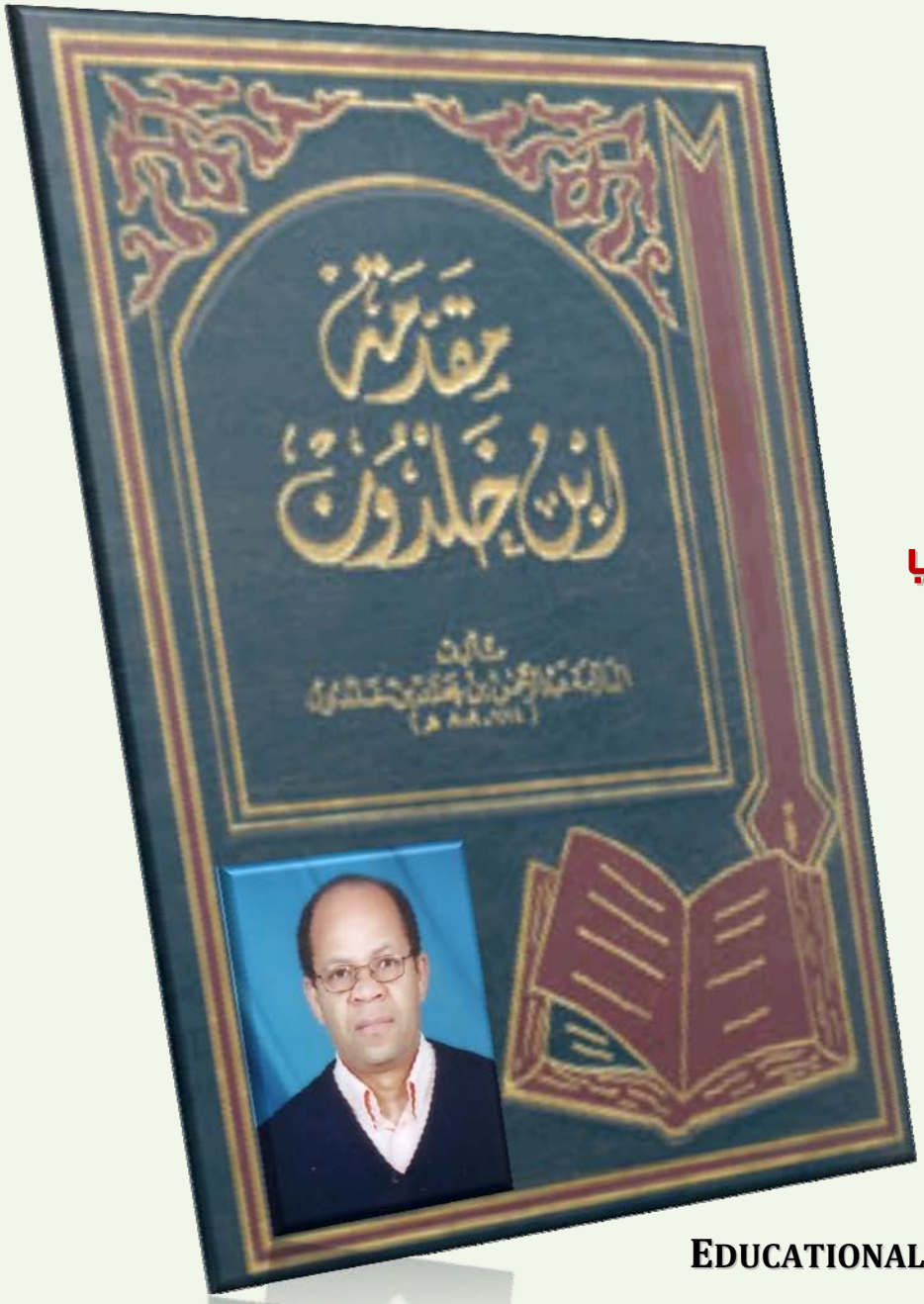

أ.د.عبد القادر سلاّمي

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة تلمسان - الجزائر

skader@maktoob.com

EDUCATIONAL AND IDIOMATIC ISSUES
AT THE FOREFRONT OF IBN KHALDOUN

مقدمة:

عالجت مقدمة ابن خلدون موضوعات متنوعة ضمن ستة أبواب ،من حيث طال البابان الثالث والسادس عن غيرهما ،فكان أن جاء:

الباب الأول : في العمران البشري على الجملة وأصنافه وقسطه من الأرض.
والباب الثاني : في العمران البدوي وذكر القبائل والأمم الوحشية.
والباب الثالث : في الدول والخلافة والملك وذكر المراتب السّلطانية.
والباب الرابع : في العمران الحضري والبلدان والأمصار.
والباب الخامس: في الصنائع والمعاش والكسب ووجوهه.
والباب السادس: في العلوم واكتسابها وتعلّمها.

ولئن كان مسعى ابن خلدون من المقدمة وهي الجزء الأول من "كتاب العبَر وديوان المبتدأ والخبر والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشّأن الأكبر" ، هو أن يضع نفسه في فئة المؤرخين وأن يقفو أثر المسعودي (ت٣٤٦هـ)مصحّحاً بعض ما وقع فيه من أخطاء ، إنّه يصعب على المراجع أن يصنّفه ضمن المؤرخين ،كونه أخذ في مقدمته من كلّ علم بطرف ، فتحدّث عن كلّ ما يخصّ الإنسان من معنويات وماديات ،داعماً ما ذهب إليه من آراء بشواهد من الذكر الحكيم و ديوان العرب الشعري.

ونظراً لمكانتها العلمية ، فقد حظيت المقدمة منذ أن وقعت عليها الأنظار بعناية والمؤرخين وعلماء الاجتماع و الفلاسفة واللغويين عرباً ومستشرقين ، كما طبعت عدّة مرّات بتحقيقات مختلفة.

ونظراً إلى أهمية التحصيل والمصطلح في العملية التربوية والتواصل بين الباثّ والمتلقّي ، سعينا في هذه الدراسة إلى استعراض نموذجين يمثّلان غيضاً من فيض تلك اللّمحات الإشراقية التي حفلت بها مقدمة ابن خلدون ، عمدنا في الأوّل منهما إلى رسم ملامح منهجية لتحصيل العلوم بينما هدفنا في الثاني إلى الإقرار بفضل ابن خلدون في الإلمام بمفهوم السياق ، على نحوٍ اتّخذه بعض الدّارسين المحدثين تكأة في التنظير والتطبيق.

ولئن جاء ذلك عَرَضاً في المقدمة كونه لا يمثّل الهدف الأساس من وراء تأليفها إلاّ أنّه ،في رأينا ،يمثّل جسر تواصل مع إنجاز ينتظر الإنصاف والإقرار ؛ وهو ما تسعى هذه الدراسة إلى إبرازه جوهراً بعد أن سعى ابن خلدون إلى التدليل عليه ضمناً.

أولاً- ترجمة ابن خلدون:

هو عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن خلدون نسبة إلى جدّه خالد المعروف بخلدون ، ويكنّى أبَا زيد ،ويلقبّ بوليّ الدّين لتوليّه قضاء المالكية بمصر و يتنهي نسبه إلى وائل ابن حجر من عرب اليمن.ولد ابن خلدون بتونس سنة ٧٣٢هـ،ولن أجداده أندلسيون من إشبيلية.درس على عدد كبير من العلماء الأندلسيين الذين هاجروا من تونس و استقرّوا فيها فقرأ عليهم القرآن الكريم بالقراءات السبع إفراداً وجمعاً في إحدى وعشرين ختمة ثمّ جمعها في ختمة واحدة وعرض بعد ذلك قصيدتي أبي القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الرعيني الشّاطبي(ت ٥٩٠هـ) اللاّمية والرائية وكتاب التقصّي لأحاديث الموطّأ لأبن عبد البرّ(ت٤٦٣هـ) ودارسهم كتباً عدّة نحو كتاب التسهيل لأبن مالك(ت ٦٨٢هـ) ومختصر ابن الحاجب(ت ٦٤٦هـ) في الفقه ،ثمّ تعلّم صناعة العربية ،وحفظ كتاب الأشعار الستّة والحماسة ليوسف بن سليمان الشَّنْتَمري المعروف بالأعْلَم (ت٤٧٦ هـ)وطائفة من شعر المتنبّي ومن أشعار كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني(ت ٣٥٦هـ) وقرأ مختصر المدوَّنة وكتاب المالكية ،كما أخذ النّحو والفقه عن إمام المحدّثين والنّحاة بالمغرب أبو محمد بن عبد المهيمن الحضرمي(ت ٧٤٠هـ) وأخذ العلوم العقلية من منطق وحكمة عن عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي(ت٧٥٧هـ). إلاّ أنهّ لمّا بلغ(ابن خلدون) السابعة من عمره أي في سنة ٧٤٩هـ انتشر وباء الطّاعون الذي ذهب بالأعيان والصّدور وجميع المشيخة ، وأبويه ، الأمر الذي حال دون متابعته دروسه.

وقد نشأ خلدون مكبّاً على تحصيل العلم حريصاً على اقتناء الفضائل متنقّلاً بين دروس العلم وحلقاته.وفي شبابه انغمر ابن خلدون في حياة سياسية حافلة في بلاط الحفصيين في تونس ، أو في بني عبد الواد في تلمسان و اجتذبه بلاط بني مرين في فاس للخدمة فيه ، وهناك اتصل ابن خلدون بالوزير الغرناطي لسان الدين بن الخطيب(ت٧٧٦هـ) حينما نفي مع سلطانه إلى المغرب ،وتوطّدت بينهما صداقة متينة بينهما امتدّت إلى حين وفاته ابن الخطيب في محبسه ؛آثر بعدها ابن خلدون الاعتزال والانطواء ، أربع يسنوات(٧٧٦هـ-٧٨٠هـ) قضاها في قلعة بني سلامة أو قلعة توغزوت التي تقع على بعد خمسة كيلومترات من مدينة فرندة الحالية في ولاية تيهارت غربي الجزائر ،وبها مغارة كبيرة يظنّ أنّ ابن خلدون كتب مقدمته فيها.

من أشهر مصنفاته: كتاب العبَر وديوان المبتدأ والخبر والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشّأن الأكبر ، و التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً ، وتلخيص محصّل كتاب فخر الدّين الرّازي (ت٦٠٦هـ) وتقييد المنطق ،وهو كتاب في الحساب ، ولخص كثيراً من كتب ابن رشد(ت٥٩٥هـ)وشرح قصيدة البردة للبوصيري ،وشرح أرجوزة في الفقه للسان الدّين بن الخطيب.كما كانت له قصائد في السّلاطين تتراوح بين الجودة والرّداءة.[1]

ثانياً: المقدمة و التحصيل التربوي:

١- التّحصيل في اللغة:

التّحصيل مشتقّ من الفعل حصل وهو :"الحاصل من كلّ شيء :ما بَقِيَ وَثَبَتَ وذهب ما سواه ، يكون من الحِساب والأعمال ونحوها ؛ حَصَلَ الشَّيءُ يَحصُلُ حُصُولًا. والتّحصيل: تمييز ما يحصلُ ، والاسم الحصيلة ، و الحَصَائلُ :البقايا ، الواحدة حصيلة. وقد حَصَّلْتُ الشّيء تحصيلا. وحاصل الشيء ومحصولُهُ: بقيّتُهُ.قال الفراء(ت٢٠٧هـ) في قوله تعالى:﴿وحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾[2] أي بُيِّنَ ؛ وقال غيره: مُيِّزَ ،وقال بعضهم: جُمِعَ. وتَحَصَّلَ الشّيءُ :تَجَمَّعَ وثبت. والمَحْصُولُ:الحاصِل ،وهو أحد المصادر التي جاءت على مفعول كالمعقُولِ والميسُورِ و المعسُورِ. وتحصيلُ الكلام:رَدُّهُ إلى محصولِه.[3]

(1) ينظر: ابن خلدون ، التعريف بابن خلدون:٣-٣٦٥ و المقري ،نفح الطيب:٢٧٧/٨-٢٨٦.
(2) العاديات: ١٠.
(3) ابن منظور ،لسان العرب:١٥٣/١١ ، مادة (حصل).

٢-التحصيل بين علمي التربية والنفس:

وعن مدلول التّحصيل من وجهة النظر اصطلاحية ، فهو: "مقدار المعرفة أو المهارة التي حصل عليها الفرد نتيجة التّدريب والمرور بخبرات سابقة."[٤]

على أنّ من التربويين من يرى فيه تلك: المعرفة أو المهارة المقتبسة ،التي هي خلاف القدرة ؛ وذلك على اعتبار أنّ الإنجاز أمر فعلي وليس إمكانية.[٥]

أمّا بعض علماء النّفس ، فيرى فيه إنجازا يكون في العادة تعليميًّا ويعني بلوغ مستوى معين من الكفاءة في الدّراسة ، سواء في المدرسة أو الجامعة وتحدّد ذلك اختبارات التّحصيل المقنّنة أو تقديرات المدرّسين أو الاثنان معا.[٦]

كما أن التّحصيل الدّراسي هو درجة الاكتساب التي يحقّقها فرد أو مستوى النّجاح الذي يحرزه أو يصل إليه في مادّة دراسية أو مجال تعليمي أو تدريبي معيّن. فالاختبارات التي يطبّقها الأستاذ على طلّابه على مدار العام الدّراسي يفترض أنّها تقيس التّحصيل الدّراسي أو الأكاديمي. والهدف من تصميم هذه الاختبارات التّحصيلية هو قياس مدى استيعاب الطلّاب لبعض المعارف والمفاهيم والمهارات المتعلّقة بالمادّة الدّراسية في وقت معيّن أو في نهاية مدة تعليمية معيّنة.[٧]

ويعدّ التّحصيل الدراسي الهدف الأساس في تشكيل عمليّة التعلّم وتحديدها ،والنّجاح فيه عامل ذو أثر كبير في تكوين الشّخصية إذ يتبعه عادة الثقة بالنّفس والارتياح ؛ أما الرسوب والفشل المتكرّر ، فيتبعه عادة تأنيب النّفس ونقد من الآخرين. وكلّ هذه العوامل النّفسية ستؤثّر بشكل حاسم على عملية التحصيل.

٣- التحصيل في ظلّ كثرة التأليف

من منظور ابن خلدون:

عدّ اتّباع الطّريقة الجزئية في التحصيل والتبليغ من أنسب الأساليب التربوية قدرة على التواصل بين الأجيال في رأي ابن خلدون.فقد عقد لذلك فصلاً في مقدمته بعنوان(في أنّ كثرة التأليف في العلوم عائقة عن التحصيل) ، جاء فيه:"اعلَمْ أنّهُ ممّا أضَرَّ بالنّاس في تحصيل العلمِ والوقوفِ على غاياتهِ كثرةُ التّآليفِ واختلافُ الاصطلاحاتِ في التعليم ، وتعدُّدُ طُرُقها ، ثمّ مطالبَةُ المتعلِّم والتلميذ باستحضار ذلك.وحينئذٍ يسلَّمُ لهُ منصبُ التحصيلِ ، فيحتَاجُ المتعَلِّمُ إلى حفظِها كلِّها أو أكثَرِها ومراعاةِ طُرُقها.ولا يفي عمُرُهُ بما كُتِبَ في صناعةٍ واحدةٍ إذا تجرَّد لها ، فيقعُ القُصور ولا بُدَّ دون رِتْبَةِ التحصيل...وثمَّ إنَّهُ يُحْتَاجُ إلى تمييزٍ (طرق القدماء)وطُرقِ المتأخِّرين عنهم ، والإحاطَةِ بذلك كلِّه ، ... والمتعَلِّمُ مُطَالَبٌ باستحْضَارِ جميعِها وتمييزِ ما بينها ، والعُمُرُ ينقضي في واحد منها. ولو اقتَصَرَ المعَلِّمُون بالمُتَعَلِّمِينَ على المسائلِ المذهبِيَةِ فقط ، لكانَ الأمرُ دون ذلك بكثيرٍ ، وكان التَّعليمُ سهْلاً ومأْخَذُهُ قريباً ؛ولكنَّهُ داءٌ لا يرتَفعُ لاستقرارِ العَوَائِدِ عليه ،فصارت كالطَّبيعةِ التي لا يمكنُ نقلُها ولا تحويلُها. ويمثَّلُ أيضاً عِلْمُ العَرَبِيَّةِ من كتابِ سيبويه(ت ١٨٠هـ)، وجميعِ ما كُتِبَ عليه ،وطرقِ البَصْريينَ والكُوفيّين والبَغْدَاديّينَ والأندَلُسيّين من بعدهم ،وطرقِ المُتَقَدِّمينَ والمتَأَخِّرينَ مثلِ ابنِ الحَاجِبِ (ت٦٤٦هـ) وابنِ مَالكٍ(ت ٦٨٢هـ) وجميعِ ما كُتِبَ في ذلك.وكيفَ يُطَالَبُ به المتَعَلِّمُ ، وينقَضي عُمُرُهُ دونَهُ ، ولا يَطْمَعُ أحَدٌ في الغَايَةِ منهُ إلاَّ في القليلِ النَّادِرِ ؟! "[٨]

فلعلّ ابن خلدون قصد بذلك التّدريب الموزّع الذي يخضع لفترات متباعدة تتخللها فترات من الرّاحة.أما التدريب المركّز ، فيتم في وقت واحد وفي دورة واحدة ، وقد وجد أنه يؤدي إلى التعب والملل ، ويكون عرضة للنسيان ؛ وذلك لأن فترات الراحة التي تتخلل التدريب الموزّع تؤدي إلى تثبيت ما يتعلمه الفرد.[٩]

على أنّ التّحصيل التربوي عنده تحكمه عدّة عوامل نفسية وأخرى اجتماعية ، ترجع إلى طبيعة الفروق الفردية أو إلى طبيعة التّوجيه الذي قد يحيي الرّغبة في الدّراسة أو النّفور منها ، وكلّ هذا قد يؤثّر على نوعيّة التّحصيل سلبا أو إيجابا.[١٠] وهو ما انتهى إليه الأسلاف قبله ومنهم أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي(ت٤٦٣هـ) الذي تناهى إليه قول ابن عباس(ت٦٨هـ) ،رضي الله عنه ،: العلمُ كثيرٌ ، ولن تعيه قلُوبكم ، ولكن ابتغوا أحسنه..."[١١]

ويذكر في هذا الصدد" أنّ أبا زيد الأنصاري(ت٢١٥هـ)رأى رجُلاً حسن العلم ، كثير الرواية ، جيّد الحفظ لِمُلَح الأخبار ، لا يتمثّل إلاّ بحسَن ، ولا يستشهدُ إلاّ بجيّد ، فقال:كأن والله علمُه من ظهور الدفاتر-قال المعافى بن زكريا الجريري (ت ٣٩٠هـ): يريد به ظهور الدّفاتر لا يكتبُ عليها إلاّ الأحسَن".[١٢] وهو ما حدا بالخليفة المأمون(ت٢١٩هـ) أن يوصي بعض بنيه بقوله:"اكتُب أحسَن ما تسمع ، واحفظ أحسَن ما تكتُب ، وحدّث بأحسن ما تحفظ."[١٣]

ولئن أثبتت التجارب أن الطّريقة الكلية أفضل من الطريقة الجزئية ؛ لأنه كلّما كان الموضوع المراد تعلمه متسلسلا تسلسلا منطقيا أو طبيعيا كلما سهل تعلمه ، فالموضوع الذي يكوّن وحدة طبيعية يكون أسهل في تعلمه بالطريقة الكلية عن الموضوعات المكونة من أجزاء لا رابطة بينها.[١٤]

ثالثاً: مفهوم السياق في المقدمة:

١-الاصطلاح والمصطلح بين المعجم والدلالة:

ورد الفعل (اصطلح) في المعاجم العربية على أنه إزالة الخلاف و أصلحوا على الأمر : تعارفوا عليه.[١٥]

أمّا الاصطلاح ، فهو اتّفاق القوم على تسمية الشيء باسم ما ، ينقل عن وضعه الأوّل أو معناه اللغوي المستعمل عادة إلى معنى آخر خاص يصطلح عليه ، لمناسبة بينهما أو مشابهتهما في وصف أو غيرها.[١٦] أمّا المصطلح في اللغة العربية ،فمصدر ميمي للفعل (اصطلح) من مادة

(4) عبد الرحمن العيسوي ،علم النفس بين النظرية والتطبيق:١٦٦.
(5)فاخرعاقل ،معجم علم النفس:٤-١٦.
(6) عبد المنعم الحفني ،موسوعة علم النفس والتحليل النفسي:٥.
(7)صلاح الدين محمود علام ،القياس والتقويم التربوي والنفسي:٣٠٥-٣٠٦.
(8) ابن خلدون ،المقدمة :٥٢٧-٥٢٨.
(9) عبد الرحمن العيسوي ،علم النفس بين النظرية والتطبيق:١٩٧-١٩٨.
(10) المصدر السابق: ١٩٨.
(11) الخطيب البغدادي ، تقييد العلم:١٤١.
(12) المصدر السابق:١٤١.
(13) المصدر السابق نفسه.
(14)عبد الرحمن العيسوي ،علم النفس بين النظرية والتطبيق:١٩٨-١٩٩.
(15) ينظر: الفيروزآبادي ،القاموس المحيط:٢٤٣/٣ ، مادة(الصلاح).
(16) الشريف الجرجاني ،التعريفات:٤٤.

(صلح) ، وقد حددت المعاجم العربية دلالة هذه المادة بأنّها ضد "الفساد " ودلت النصوص العربية على أن كلمات هذه المادة تعني أيضا : الاتفاق.[١٧] وبين المعنيين تقارب دلالي فإصلاح الفساد بين القوم لا يتمّ إلاّ باتفاقهم.[١٨]

وعلى هذا فالمصطلح هو اللفظ الذي يتفق العلماء على اختياره ليدل على شيء محدود في عرفهم ، يتميز به من سواه ، فينتقل من معناه اللغوي إلى المعنى الاصطلاحي.

وقد التصق الاصطلاح بالمواضعة ، و دلالتها إلى الاصطلاح أميل و هي تعني معناه ، و هو مذهب ذكره ابن جنيّ (ت ٣٩٢هـ) ، فقال:"إنّ أصل اللغة لابّد فيه من المواضعة... وذلك كأنّ يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا ، فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء ،فيضعوا لكل منها سِمة ولفظا ، إذا ذكر عرف به ما مُسمّاه ، ليمتاز من غيره ،و ليُغني عن إحضاره إلى مرآة العين ، فيكون ذلك أقرب وأخفّ وأسهل من تكلّف إحضاره ، لبلوغ الغرض في إبانة حاله".[١٩]

وهو أمر ذكره التاج السبكي(ت٧٧٧هـ)في شرح منهاج البيضاوي ، فقال:" الوضْعُ عبارة عن تخصيص الشيء بالشيء ؛ بحيث إذا أُطلقَ الأوَّلُ فُهم منه الثاني.قال: وهذا تعريفٌ سديدٌ ، فإنّك إذا أطلقت قولك" قائمٌ زيدٌ" فُهم منه صُدُور القيامُ منه".[٢٠]

وهو ما عبر عنه ابن خلدون بقوله: "ثم لما كانت العرب تصنع الشيء لمعنى على العموم ، ثم تستعمل في الأمور الخاصة ألفاظا أخرى خاصة بها ، فرق ذلك عندنا ،بين الوضع و الاستعمال ،و احتجاج الناس النّاس إلى فقه في اللغة عزيز المأخذ ، كما وضع الأبيض بالوضع العام لكل ما فيه بياض ، ثم اختص ما فيه من خيل بالأشهب ،و في الإنسان بالأزهر ، و من الغنم بالأملح ، حتى صار استعمال الأبيض في هذه كلّها لحناً و خروجاً عن لسان العرب" ،[٢١] الأمر الذي يدلل على أنه في العربية اصطلاحات كثيرة بعضها عام و بعضها خاص ، و كلّها تدخل ضمن إطار تطور المعنى من الإطلاق[**] إلى التقييد[**] و من التعميم[**] إلى التخصيص.[**]

(17) ينظر:ابن فارس ،معجم مقاييس اللغة:٣٠٣/٣ ، مادة(صلح) .
(18) ينظر: الفيروزآبادي ،القاموس المحيط:٢٤٣/٣ ، مادة(الصلاح).
(19) ابن جنّي ، الخصائص:٤٤/١.
(20) السيوطي ،المزهر:٣٨/١.
(21) ابن خلدون ،المقدمة:٥٤٩.

(**)هو أن يذكر الشيء باسمه لاتقرَنُ به صفةٌ ، ولا شَرْطٌ ، ولا زمانٌ ، ولا مكان ،ولا عددٌ ولا شيء يشبه ذلك.(ينظر:ابن فارس ،الصاحبي في فقه اللغة:٢٠٠ وينظر: الكفوي ،الكليات:٢١٧/١ ،مادة(الإطلاق). أي ذلك اللفظ المجرّد ممّا يعيّنُ المعنى والذي يصِحُّ وقوعه على مدلوله دون اجتماع تلك الشروط والصّفات ، وهو نوع من دلالة الألفاظ. (ينظر: الرُّمّاني ،رسالتان في اللغة : ٧٠ وينظر: أحمد محمد قدور ،المدخل إلى فقه اللغة العربية:٢١٧.

(**)هو أن يُذكر الشيء ابن وصولاً بقرينٍ من بعض ما ذكرناه من شروطٍ وصفاتٍ ، فيكون ذلك القرين زائداً في المعنى .(ينظر:ابن فارس ،الصاحبي في فقه اللغة:٢٠٠ والرماني:رسالتان في اللغة:٧٠). فقد لاحظ اللغويون أنّ هناك نوعاً من الألفاظ لايصحّ وقوعه على مدلوله مالم تجتمع له شروط أو صفات ؛ فهذا المقيّد ، وهو نوع من دلالة الألفاظ (ينظر:أحمد محمد قدور ،المدخل إلى فقه اللغة العربية:٢١٧). ومن ذلك قول القائل :"زيدٌ لَيْثٌ "مشبّهاً إيّاهُ بليث في شجاعته. فلو قال: "هو كاللّيثِ الحَربِ" فقد زاد "الحَربَ" وهو الغَضْبان الذي حُربَ فريستَهُ ، أي سُلِبها. فإذا كان كذا كان أدهى له.ينظر: ابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة:٢٠٠.

(**)أي تعميم الخاص ويتمّ ذلك بتوسيع معنى اللفظ ومفهومه ، أو نقله من معنى الخاصّ الدّالّ عليه إلى معنى أعمّ وأشمَل ؛(ينظر:محمد المبارك ،فقه اللغة وخصائص العربية:٢١٨ وعاطف مدكور ،علم اللغة بين التراث والمعاصرة:٢٨٩. بحيث" تُستعمل الكلمة الدّالّة على فرْدٍ أو على أفراد الجنس أو أنواعه للدّلالة على أفراد كثيرين أو على الجنس كلّه". عبد العزيز مطر ،لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة:٣٧٥ ورمضان عبد التواب ،التطور اللغوي ، مظاهره وعلله وقوانينه:١١٧.

(**) يقوم تخصيص الدّلالة بتحويل مجالها من المعنى العام أو الكلّي إلى المعنى الجزئي ،ويسمّى أيضاً بتقليص الدلالة .و يعني أيضاً قصرُ المعنى العامّ على بعض أفراده وتضييق شموله ،ذلك أنّ مدلول الكلمة يتغيّر تبعاً للحالة التي يكثر فيها استخدامها.فكثرة استخدام اللفظ العامّ في بعض ما يدلّ عليه يزيل مع تقادم العهد عموم معناه ، ويقصُر مدلوله على الحالات التي شاع فيها استعماله فيكسب دلالته المركزية ظلالاً جديدةً تؤدّي إلى تخصيص معناها في أغلب الأحيان. ينظر:محمد المبارك ،فقه اللغة وخصائص العربية:٢١٩ وعاطف مدكور ،علم اللغة بين التراث والمعاصرة:٢٨٨ وإبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ:١٠٧وأحمد عبد الرحمن حماد ،عوامل التطور اللغوي:١٣٥.

و كلا المصدرين (اصطلاح) و (مصطلح) لم يرد في القرآن الكريم أو في الحديث الشريف أو في المعاجم العربية القديمة العامة ومع تكوّن العلوم في الحضارة العربية الإسلامية تخصصت دلالة كلمة (اصطلاح) لتعني الكلمات المتفق على استخدامها بين أصحاب التخصّص الواحد للتعبير عن المفاهيم العلمية لذلك التخصّص ، و بهذا المعنى أيضا استخدمت كلمة "مصطلح" و أصبح الفعل (اصطلح) يحمل أيضا هذه الدلالة الجديدة المحدودة.[٢٢]

ومصطلحات كل علم تالية له في الوجود بالضرورة فبعد أن يوجد الشيء ،يحتاج إلى تسميته ، فيختار له علماء الأمّة من ألفاظ اللغة اللّفظ الذي يناسبه على أساس أن العلاقة بين المعنى اللغوي وهو الأصل و المعنى الاصطلاحي ،و هو الدلالة الجديدة العارضة.

٢-السياق في اللغة والدلالة:

الراء والسين والواو والقاف أصلٌ واحدٌ ،وهو حَدْو الشّيء.يُقال:سَاقَهُ يَسُوقُه سَوْقاً.والسِّيقَةُ:مَا استِيقَ من الدَّوَابّ. ويُقالُ:سُقْتُ إلى المرأةِ صَدَاقَها ،وأَسْقَتُهُ.والسُّوقُ مشتقّة ،من هذا ،لِمَا يُسَاقُ إليها من كلّ شيءٍ ، والجمع أسواقٌ.والسَّاقُ للإنسان وغيره ،والجمعُ سُوقٌ ، إنّما سمّيَت بذلك لأنَّ الماشي ينْسَاقُ عليها".[٢٣] ومن المجاز: سَاقَ اللهُ إليكَ خيراً ، وسَاقَ إليها المَهْر ، وساقت الرِّيحُ السَّحَابَ ، وأَرَدْتُ هذه الدَارَ بثَمَنٍ فَسَاقَها اللهُ إليكَ بلا ثَمَنٍ ، والمُحْتَضَرُ يَسُوقُ سِيَاقاً:نزَعَ عند المَوتِ ، وفُلانٌ في ساقةِ العَسْكَرُ: في آخره وهو جمع سَائق ،وتَسَاوقَتِ الإبِلُ:تتَابَعَت ،وهو يَسُوقُ الحديثَ أَحْسَنَ سِيَاقٍ ، وجِئْتُ بالحديثِ على سَوْقِهِ: على سَرْدِه ،وقامَ على ساقٍ في حَاجَتي: إذا جَدَّ فيها ، وقَرَعَ للأمر سَاقَهُ وظُنْبُوبَهُ(*): تَشَمَّرَ لهُ وجَدَ فيه ولَمْ يَفْتُرْ[٢٤] ،ووَلَدَت فلانة ثلاثةَ بَنِينَ على ساقٍ واحد:أي بعضُهُم في إثرِ بعضٍ ليس بينهم جاريةٌ وسُوقُ الحَرْبِ: حَوْمَةُ القِتَالِ ، ووَسَطُهُ.[٢٥] وهذه المعاني جميعها لاتعدو أن تكون حَدْواً وتتابُعاً .

(*)الظُّنْبُوبُ:حَرْفُ السَّاقِ من قُدُمٍ حَرْفُ عَظْمِه اليَابس.ينظر: الفيروزآبادي ،القاموس المحيط:١٠٣/١و ابن فارس ،معجم مقاييس اللغة:٤٧٠/٣ ،مادة (ظنب).
(24) ينظر:الميداني ،مجمع الأمثال:٩٣/٢. ومن أمثلته:"قَدْ شَمَّرَتْ فَشَمِّرِي " ويضرب في الحثّ على الجِدِ في الأمر.و" قَدَحَ في سَاقِهِ" ،ويُضرَبُ لِمَنْ يَعْمَلُ فِيمَا يَكْرَهُ صَاحِبُهُ".
(25) الزمخشري ،أساس البلاغة:٣١٤ ، مادة(سوق).

أمّا من حيث الاصطلاح ،فالسياق يدلُّ على تتابُع الكلام وأسلوبه الذي يجري عليه[٢٦] ،ويقصد به جِوارُ الكلمات في التَّلاصُق الرُّكْني الذي للجُمَل في الملفوظ ، أي ما يسبقُها وما يلحقُها من مفردات.وعادةٍ ما تعدّ العوامل الصوتية النحوية والصّرفية في تركيب الكلام مظهراً سياقياً أو تركيباً.[٢٧] كما يُقصد به ما يصاحب اللفظ ممّا يساعد على توضيح المعنى وقد يكون التوضيح بما تَرِدُ فيه اللفظ من الاستعمال ؛ وقد يكون ما يصاحب اللفظ من غير الكلام مفسِّراً للكلام ؛ وقد تكون العلاقة بين هذا الكلام وبين كلام آخر أو غير كلام مدعاةً إلى استعمال اللفظ بالطّريقة التي يستعمل بها في اللغة.[٢٨] وهو بذلك" جسمٌ حيٌّ أو مجموعة من المواقف والإمكانات المتفاعلة ،وفيه تقاطعات مستمرّة".[٢٩]

ومن مظاهر ذلك مثلاً مجاورة الأصوات بعضها ببعضٍ في كلمة واحدة أو في كلمتين ، فالتقاء صوتين في سياقٍ واحد قد يؤدّي إلى التصرّف في أحدهما بالإبدال ؛ إذ ليس كلّ حرف صالحاً لأن يجاوره حرفُ آخرُ.كما أنّ شكل المقطع ومخرج الحرف وصفاته والملحقات الصرفية وغير ذلك هي العوامل التي تحدّد ورود حرف بعينه في موقع بعينه أو عدم وروده.[٣٠]

٣- السياق من منظور ابن خلدون:

وهو ما أطلق عليه الأداء والأسلوب ، فأكّد أنّه" عبارة عن المِنْوَال الذي يُنْسَجُ فيه التّركيب أو القالَبُ الذي يُفرَغُ ،و لا يرجع ،إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب ،أي النّحو ، ولا باعتبار إفادته كما المعنى من خَواصّ التركيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ، ولا باعتبار الوزن كما استعمله العربُ فيه الذي هو وظيفة العَروض ، وإنّما يرجعُ إلى صورةٍ ذهنية للتراكيب المنتظمة كلّيةً باعتبار انطباقها على تركيبٍ خاصٍّ ، وتلك الصُّورة التي ينتزعُها الذِّهْنُ من أعيانِ التراكيب وأشْخاصها ويعيدها في الخيال كالقالب والمنوال ثمّ ينتقي التراكيب الصَّحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرُصُّها رَصّاً ، كما يفعل ،البَنَّاءُ في القالَب والنسَّاجُ في المِنْوال حتّى يتَّسعَ القالبُ بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ووقعَ على الصُّورة الصّحيحة باعتبار مَلَكةِ اللِّسان العربي فيه ،فإنّ لكلّ فنٍّ من الكلام أساليبَ تختصُّ فيه وتُوجد فيه على أنحاء مختلفة".[٣١]

فالسياق عند ابن خلدون هو تلك العلاقة المشتجرة بين جمل النصّ وعباراته وتجاوب الأصداء التي يصدرُها كلُّ قسمٍ منها في طرف فيَلْقاه طرفُ آخرُ ليتَّضح ويتكامل .كما أنّ مصطلح" مَقام" (Contexte) يعني هذا التفهّم للتجربة من خلال مكوّنات العمل الإبداعي.فالكلمات لا يقف مدلولها عند تلك الإشارة والشّرحفي المعجم(الدّلالة المعجمية)بل نبحث عن" الدّلالات النّحوية"المضافة إلى الدّلالة العامّة و"الدّلالة الصّرفية"وهي رمز صوتي وشكلي(الكتابة) لشيءٍ مادّيٍ أو لمفهومٍ أو فكرةٍ أو علاقةٍ تُدرَك بالذِّهن والتأمُّل لا بالحِسّ.كما نواجه علاقات أخرى هي"الموقعية" (Situation) وتعني ما يتّصل بالزّمان والمكان والأشخاص والإطار الذي تتحقّق فيه الحوادث ، فتتبلور هاهنا "دلالة سياقية"قد تختلف زيادةً أو نُقصاناً على ما كانت عليه قديماً في الأزمنة الغابرة أو في بيئاتٍ بأعيانها.فهي تعيش تطوّراً دلالياً ينبغي التنبيه إليه لنفهمَ أبعادَ اللغة المشكّلة للتجربة الشُّعورية ،وندرك ضرورة التأمّل مع"معجم المعاني"وفق خصائص ذاتية فيه تنطلق بعد ذلك لتفسّرخصوصيته وتفرّده ، وهذا يتضمّنُ عقد الأواصر بين المواد اللغوية والثقافية التي نبع منها العمل المعجمي وتأطّر بها.وهكذا يتّضح استخدامنا للسياق في هذا البحث في معنى أوسع بكثير من معناه اللغوي.

وهو بذلك لا يستبعد أن يكون المقصود بالسياق مجموعة العوامل والظُّروف الاجتماعية وخاصّة الثقافية التي أحاطت وتحيط بالمتكلّم والسّامع لذلك ، فهي تنعت بعوامل وظروف مواقفية كما يقال:سياقٌ مواقِفي.[٣٢]

و الجدير بالذكر هنا صلاح فضل عدّ تعريف ابن خلدون أدقّ تحديد للأسلوب ،على تأخّره ، فقال:"ومن الواضح أنّ هذا المفهوم التركيبي الدقيق للأسلوب إنّما اصطلاحي لا لغوي وسبق بقرون دخول الأسلوب في المصطلح النّقدي الأوروبي.فقد استُخدم منذ أوائل القرن التّسع عشر في معجم"Grimm" ووَرَد لأوّل مرّة في اللغة الإنجليزية كمصطلح عام١٨٤٦م طبقاً لقاموس"أوكسفورد"ودخل القاموس لأوّل مرّة كمصطلح عام١٨٧٢م".[٣٣]

وعلى هذا فالمصطلح عند ابن خلدون ركن أساسٌ في كل علم ، إذ به تسهل الدراسة ،و يتيسر تبادل الآراء و الأفكار بين علماء الأمة الواحدة ، و بينهم و بين غيرهم من علماء الأمم الأخرى.و بالمصطلح يكون التدوين و التأليف ليتم التعاون العلمي بين علماء العالم ،و لينتفع الخلف ،بمجهود السلف ،و على ذلك يقوم علم المصطلح ، الذي يعدّ علم المصطلح من أحدث علم اللغة التطبيقي كونه ، يتناول الأسس العلمية لوضع المصطلحات و توحيدها.[٣٤]

ولعلّ ما أقرّه ابن خلدون من مبادئ منهجية ما يتّفق مع المنهجيات التي أصدرتها المجامع اللغوية العربية والعلمية والمعاهد اللسانية التي تتفق في فحواها على عدد من المبادئ الأساسية المعتمدة في اختيار المصطلحات ووضعها ،والتي يمكن تلخيص مضامينها في ضرورة نهوض المصطلح بهذه المهمّة ، ويؤدّي دوره المأمول منه على خير وجه ، وفق سمات أهمّها أهمّها:[٣٥]

أ-ضرورة وجود علاقة مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلول المصطلح اللغوي ومدلوله الاصطلاحي ،والتي دفعت بالمصطلِحين إلى اختيار هذا المصطلح وإيثاره على غيره ظاهرة قوية.

ب-الدقّة في تحديد الدلالة والعموم والشمول ،بمعنى أن يبسط المصطلح مظلّته على جميع المسائل التي يمكن أن تنضوي تحته

(26) إبراهيم أنيس وآخرون ،المعجم الوسيط:٤٦٥/١ ،مادة(ساق).
(27) عدنان ذريل ،اللغة والدلالة:١٦٠وينظر: تامر سلوم ،نظرية اللغة والجمال في النقد العربي:١٣-١٧٦.
(28) محمد أحمد أبو الفرج ،المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث:١١٦.
(29) تامر سلوم ،نظرية اللغة والجمال في النّقد العربي :٣١٨.
(30) تمام حسان ،مناهج البحث في اللغة:١٦٣وتامر سلوم ،نظرية اللغة والجمال في النقد العربي:٤٤-٤٥.
(31) ابن خلدون ،المقدمة:٥٦٩-٥٧١.
(32) عدنان ذيل ،اللغة والدلالة:١٦٠.
(33) ينظر: صلاح فضل ،علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته:٨٢-٨٣. على أنهّ يمكن إدراج تعريف ابن خلدون مؤقّتاً ضمن"الأسلوبية السياقية"التي يعدّ ميكائيل ريفاتير(Michael.R) رائدها. ينظر:هنريش بليث ،البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص:٣٨.
(34) محمود فهمي حجازي ،الأسس اللغوية لعلم المصطلح:١٩.
(35) ينظر:علي القاسمي ،مقدمة في علم المصطلح:١٠٦-١٠٨والمتولي بن رمضان أحمد الدميري ،شفاء الغليل في مصطلح جمل الخليل:٥-٧.

وتدور في فلكه ، ما دام قد تحقّق فيها المعنى الذي انعقد عليه هو ودار حوله.

ج-تجنّب تعدّد الدلالات للمصطلح الواحد في الحقل الواحد ؛ لأنّ المصطلحات هي الأصول التي تُعالج بموجبها الفروع والمسائل الجزئية ذات الصّلة ، هي الأصول التي تنعقد في النّفس على أمكن ما يكون ، فيسهل ردّ الفروع الكثيرة إليها.

د- توحيد المصطلحات ،بمعنى أن يأخذ أرباب العلوم أنفسهم في التعبير عن المضمون الواحد بمصطلح واحد.وفي ذلك من الخير للصناعة العلمية ما فيه ، على ما في ذلك من توفير للوقت والجهد.

المصادر والمراجع

**المصحف الشريف.

*ابن جني ، أبو الفتح عثمان :الخصائص ، تحقيق محمد علي النجّار ،ط ٢ ،دار الهدى للطباعة والنشر ،بيروت.

*ابن خلدون ،عبد الرحمن محمد :

-التعريف بابن خلدون ، ورحلته غرباً وشرقاً ،دار الكتاب اللبناني ، دار الكتاب المصري ، ١٩٧٩م.

-مقدمة ابن خلدون ،ط ٢ ،تحقيق درويش الجويدي ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ،صيدا ، بيروت ، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

* ابن فارس ،أبو الحسين أحمد بن زكريا:

-الصاحبي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها ، تحقيق عمر فاروق الطباع ،ط ١ ،مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣م.

-معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر للطباعةو النشر و التوزيع ،١٩٧٩م.

* ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم:لسان العرب ،ط ٣ ،دار صادر ،بيروت ،لبنان ،١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

* أبو الفرج ،محمد أحمد:المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ،دار النهضة العربية ، للطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٩٦٦م.

* أنيس ، إبراهيم: دلالة الألفاظ ،ط ٢ ،مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ،١٩٦٢م.

*أنيس ،إبراهيم و منتصر ،عبد الحليم و الصوالحي ،عطية ،و أحمد ، محمد خلف الله: المعجم الوسيط ،دار الفكر ، بيروت.

*بليث ، هنريش:البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص ،ترجمة وتقديم وتعليق محمد العمري ،ط ١ ، منشورات دراسات سال ، البيضاء ، ١٩٨٩م.

* الجرجاني ، أبو الحسن علي الشريف بن محمد:التعريفات ،ضبط وفهرسة محمد بن عبد الحكيم القاضي ،دار الكتاب المصري ، القاهرة ،ط ١ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،١٤١١هـ-١٩٩١م.

* حجازي ، محمود:الأسس اللغوية لعلم المصطلح ،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، تونس.

*حسان ، تمام:مناهج البحث في اللغة ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٤٠٠هـ- ١٩٧٩م.

* الحفني ،عبد المنعم:موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ،ط ٢ ،مكتبة مدبولي ،١٩٧٩م.

*حماد ،أحمد عبد الرحمن:عوامل التطور اللغوي دراسة في نموّ الثّروة اللغوية ،ط ١ ،دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٣م.

* الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت:تقييد العلم ، تحقيق يوسف العش ،ط ٣ ، دار الوعي ، حلب ،١٣٩٥هـ، ١٩٨٨م.

*الدميري ،المتولي بن رمضان أحمد:شفاء الغليل في مصطلح جمل الخليل ، دراسة للمصطلحات النحوية من خلال كتاب الجمل المنسوب إلى الخليل بن أحمد ،١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

* ذريل ، عدنان: اللغة والدلالة آراء ونظريات ،منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق ، ١٩٨١م.

*الرمّاني ،أبو علي الحسن بن عيسى: رسالتان في اللغة ، منازل الحروف- الحدود ، تحقيق وتعليق وتقديم إبراهيم السّامرّائي ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمّان ، الأردن ، ١٩٨٤م.

* الزمخشري ،أبو القاسم محمود:أساس البلاغة ،دار المعرفة ، بيروت ،١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

*سلوم ،تامر:نظرية اللغة والجمال في النقد العربي ،ط ١ ،دار الحوار ، اللاذقية ، سورية ، ١٩٨٣م.

* السيوطي ، جلال الدين بن عبد الرحمن:المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، شرح و تعليق محمد أحمد جاد المولى و آخرون ، دار الجيل ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت.

* عاقل ،فاخر:معجم علم النفس ،دار العلم للملايين ، بيروت ،١٩٧٧م.

*عبد التواب ،رمضان:التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ،ط ١ ،مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض ، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م.

* علام ،صلاح الدين محمود:القياس والتقويم التربوي والنفسي ،ط ١ ،دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠ م.

*العيسوي ،عبد الرحمن:علم النفس بين النظرية والتطبيق ،دارالنهضة للطباعةوالنشر ،بيروت ،١٩٨٤م.

* فضل ،صالح: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ،ط ١ ،منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

*الفيروزآبادي ،مجد الدين محمد بن يعقوب:القاموس المحيط ،مؤسسة فن الطباعة ، مصر.

* القاسمي ، علي:مقدمة في علم المصطلح ،مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة.

* قدور ،أحمد محمد:المدخل إلى فقه اللغة العربية ،منشورات مديرية الكتب و المطبوعات بجامعة حلب ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م.

*الكفوي أيوب بن موسى الحسيني ،الكليات ،أعده للطبع عدنان درويش ومحمد المصري ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٧٥م.

*المبارك ، محمد:فقه اللغة وخصائص العربية دراسة تحليلية للكلمة العربية وعرض بمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد ، ط ٥ ،دار الفكر ، بيروت.

* مدكور ، عاطف:علم اللغة بين التراث والمعاصرة ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ،١٩٨٧م.

* مطر ، عبد العزيز:لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ،ط ٢ ،دار المعارف ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

*المقري ،أحمد بن محمد:نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،دار صادر ، بيروت ،١٣٨٨هـ

*الميداني ،أبوالفضل النيسابوري: مجمع الأمثال ،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ،منشورات دار النصر ،دمشق ،بيروت.

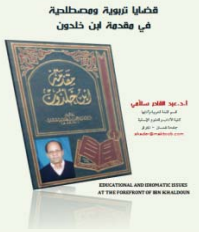

من مقالات صاحب الدراسة:

*« *Le phénomène de l'homophonie et de antonymie Chez Ibn Sida* »
-Research journal of Aleppo university(arts and humanities series)Syria ,volume 14/1989.

*« *L'indication du sens à partir du mot* »
-Revue de la faculté de lettres, université de Tlemcen- Algérie, volume 02/juin2001.

*« *De la lexicographie arabe* »
-Revue el-Hathar-faculté des lettres et sciences humaines-université de Ouargla- Algérie ,volume 02/juin 2003.